الخبر الهزلي في كتاب اخبار الحمقى والمغفلين دراسة تحليلية

ا. م. د. ضياء غني لفتة   م‌م. ميادة عبد الامير كريم

الملخّص :

يهتم البحث بدراسة الجانب الهزلي في كتاب (اخبار الحمقى والمغفلين) لابن الجوزي الذي جمع فيه طائفة من الاخبار الهزلية المضحكة التي دارت بين شخصيات متنوعة ذات مواقع اجتماعية وسياسية متباينة .

وقد حاولنا الوقوف على عدة مطالب فنية منها ،التعريف بوظيفة الخبر الهزلي ،وبيان دور الشخصيات في تفعيل الاحداث وتوجيه مسارها وارتباطها الوثيق بعنصر الحوار الذي بدا حضوره بشكل واضح ، بالاضافة الى التعرض لجانب الزخرفة اللفظية كتوظيف فني السجع والازدواج في بناء الاخبار ، كما استوقفتنا دراسة الخصائص التي ينماز بها الخبر الهزلي والدور المهم الذي تؤديه المفارقة في تشكله وهندسة بنائه لتكون المفارقة وسيلة ادبية تسعى لانتاج الضحك وتسرية المتعة الى نفس القارئ .

Conclusion:

The comic news in the book of the idiots and fool tales (Analyzing study)

News is one of the Almazan important knowledge relevant document Lakeahalavrad of people, it was the substance Smria Atzlon to spend their time and unloading their concerns as well as being a way to draw a smile on the faces and hearts story is the comic relief of the fun of talk is the product of laughter .

The personal basis axis around which the news article comic to introduce us to Ibn al Katz Atsvo Balhmq people fools and foolish, and sometimes exposure to Jokes issued for those who are the owners of the status of a prominent political and social figure or a minister or judge the book.

The lead comic story and several functions including the murder of the void or for the purpose of education is sometimes to be a narrative form the story is based on the activation mechanism of laughter through humor and irony and perhaps detract from others.

The Anmaz news comic with a number of advantages as minors, his words and the accuracy of meaning and adopted the style of the bond with a wordy inherited, and to the side that played the irony as well as dialogue important role in the production of text comic and entertain the reader, as it contributed to the construction of the news and pay thriller about but Mam, and perhaps this feature of the technical overriding it.

تمهيد

مع قيام الحواضر وانتشار المدن العربية وزيادة الترف والغنى زادت المجالس زيادة كبيرة، وزادت معها الحاجة إلى مادة سمرية لقضاء الوقت في جو من المرح. ولقد شهدت بغداد منذ نهاية القرن الثاني الهجري حتى القرن السادس الهجري، عصر ابن الجوزي، حياة ترف وبذخ وثراء وصلت حد الفحش، وكان من أبرز مظاهر تلك الحياة المترفة انتشار المجالس العامة والخاصة على حد سواء. فالعامة لهم مجالسهم ومادتهم السمرية، والخاصة لهم أيضاً مجالسهم الخاصة بهم، ولهم أسمارهم، سواء كانوا خلفاء أو وزراء أو قادة كبار العسكريين أو العلماء.

والخبر هو النبأ ،يقال خبرت بالامر اذا علمته ، (١)اما الهزل فهو نقيض الجدّ وهو ايضاً استرخاء الكلام وتفنينه (٢)بغية إضحاك السامع وإمتاعه،والخبر الهزلي في عمومه هو الممتع من الكلام المسبب للضحك .وكتاب ابن الجوزي الموسوم بـ (أخبار الحمقى والمغفلين)يقوم في تشكيله العام على الهزل والدعابة المضحكة،اذ عمد المؤلف الى انتقاء كل ماهو هزلي من أخبار تتعلق بشخصيات قد تكون هزلية حمقاء يصدر عنها فعل الحمق والتغفيل،او شخصيات عاقلة لكن صدرت عنها الحماقة التي سجّلها ابن الجوزي وقيدها في كتابه معلناً عن ثلاثة اسباب دعته الى جمع هذا الصنف من الأخبار ،الاول :هو أن العاقل اذا سمع أخبار هؤلاء عرف قدر نعمة ما وُهبَ له من عقل مما يدعوه الى شكرها،والثاني :ان ذكر اخبار المغفلين يحثُّ العاقل على اتقاء أسباب الغفلة والحمق،اما السبب الثالث :فهو ترويح القلب وإيناس النفس .(٣) ولعل ابن الجوزي قد بيَّن الأسباب المعلنة لتصنيف كتابه "أخبار الحمقى والمغفلين" وحاول أن يتستر خلفها، كما فعل غيره، خوفاً م ن بطش السلطة، ويبدو أن هناك أسباباً غير معلنة دفعت ابن الجوزي إلى رصد هذا ال ويبدو لي أن ابن الجوزي قد حقق وظيفة اجتماعية أيضاً في تعرية الكثير من الأنماط البشرية في مجتمعه، الذي انتشر فيه الحمقى والمغفلون، وتغلغلوا في طبقات ينبغي لها أن تكون بمنأى عن الحم ق والتغفيل، كالقرَّاء ورواة الحديث والقضاة والأمراء والولاة والكُتَّاب والحُجَّاب والمؤذنين والأئمة وغيرهم، وكأن ابن الجوزي يطلق صرخة احتجاج يعلن فيها ما بلغه المجتمع العباسي من فساد وقد انتشر الحمقى والمغفلون بين هذه الطبقات. كم الكبير من الأخبار الفكاهي ة ليوظفها في تعرية شخصيات نمطية لفئات كثيرة في مجتمعه العباسي السلجوقي.

المطلب الأول: وظيفة الخبر الهزلي :

يؤدي الخبر الهزلي مهمة الترويح عن النفس ، وفي هذا المعنى يحدثنا ابن عبد ربّه الأندلسي بانّ الملح والنوادر هي الخبر الهزلي وهو وسيلة للتسلية والترويح عن النفس وإزالة كَدَرها وغثاثتها:((نزهة النفس وربيع القلب ومرتع السمع ومجلب الراحة ومعدن السرور))(٤)،فضلا عن كونه أداة من أدوات النقد الاجتماعي (٥)لإظهار المساوئ الاجتماعية بطريقة فنية ظاهرها الهزل والتندر وباطنها النقد اللاذع،وهو الى جانب هذا وذ اك ((أحد الأساليب للنيل من الخصوم سواءً أكانوا فئات أم قوانين تصدرها الدولة لتحدّ من الرغبات والنزعات الشخصية))(٦) .فالخبر يعد مجالا لنقل العلوم والمعارف وحضور الغاية الأخلاقية من خلال تهذيب تلك الأخلاق والتذكير بمكارمها من خلال ذم نقيضها ، فضلا عما ذكرته من تحقيق الأنس ، واللذة النفسية ، وتحقيق المتعة . ان النظر إلى هذه الأخبار يوحي لنا بقدرتها على ضم إمكانيات سردية ، تدخل في نسيجها مما يجعلها أحيانا حكاية

مكتملة ،تكشف ابعادا يقصدها السارد ، من خلا ما يعرض من شخصيات تهدف لتحقيق الفكاهة والتندر مستخدمة أسا ليب متنوعة ، فكانت هذه الشخصيات فواعل وظفت للقيام بفعل يهدف الى السخرية والضحك وتحقيق الامتاع فضلا عن تحقيق الوظيفة الأخرى الفائدة .

المطلب الثاني : الشخصية الهزلية في كتاب أخبار الحمقى والمغفلين :

تمثل الشخصية موضوع السرد [٧] ومرتكزه الأساس فهي القائمة بالحدث والدافعة به نحو الأمام انطلاقاً لتشكيل العمل السردي .وشخصيات الإخبار الهزلية والنوادر ((تختلف عن الشخصيات الإنسانية وان كانت الأخيرة أصلا لها،لأنها عندما ارتبطت بالشكل الفني الذي فصلها عن تاريخها أصبحت تعبّر عن رموز خاصة بأوضاع اجتماعية))[٨] .

يقدم ابن الجوزي شخصيات اخباره تقديماً هزلياً أثر أفعال وتصرفات تصدرها هذه الشخصيات اما لحمقها غريزةً أو عَرَضاً كأن تكون شخصية قاضٍ أو وزير وغيره ،ولكن يصدر عنها فعل الحمق لغفلة وما شابه . وهي في الغالب تؤدي وظائفها المهنية والاجتماعية في مجتمعاتها كقراءة القرآن أو رواية الحديث أو ممارسة القضاء... الخ، كغيرهم من الناس، إلا أنهم يمتازون بالحمق أو الغفلة . وهم أيضاً لا يعرفون صفات الحمق والغفلة التي فيهم، ولو عرفوها لتحاشوها، ولما كانت مواقفهم مضحكة. كما أنهم شديدو الالتصاق بالذات، بعيدون في عالمهم عن الآخرين .

ومن الشخصيات التي عُرفت بحمقها ،شخصية (عجل بن لُجيم الاحمق)ومما يرويه ابن الجوزي في حماقاته أنه ((قيل له :ما سميت فرسك؟ فقام اليه ففقأ احدى عينيه وقال :سميته الأعور .))[٩]،ومنها شخصية (مزبد) اذ يُروى عنه أنّه قيل له ((إنّ فلاناً الحفّار قد مات ،فقال :أبعده الله،من حفر حفرة سوء وقع فيها .))[١٠] وفي موضع آخر ترد شخصية (أزهر الحمار) الأحمق الذي قال له الطبيب يوماً((خذ رمانتين فاعصرهما بشحمهما واشرب ماءهما ،فعمد الى رمانتين وقطعة شحم ودقهما في موضع واحد وعصرهما واخذ ماءهما فشربه .))[١١] .

تتأسس هذه الاخبار في عمومها على شخصيات غلب عليها الحمق حتى صار صفة لها فاذا ذُكر اسم احداها اتبعه المؤلف بنعت الحماقة فهذا عجل الاحمق وذاك مزبد الاحمق ...وهكذا لتكون الشخصية هي المحرك الرئيسي للاحداث ولينطلق الراوي بسرده نحو تتمة الخبر .

وتأتي شخصية (جحا) هي الاخرى الى جانب الشخصيات الهزلية الواردة ،وهي شخصية أُختلف في حقيقة حمقها اذ ورد ما يدل على فطنته وذكائه الا ان الغالب عليه . على حد قول ابن الجوزي . هو التغفيل والحماقة ،ويروى انه كان له بعض اعدائه وضع عليه هذه الحكايات المنسوبة الى الحماقة[١٢] ،لتطغى شخصية (جحا) في الفن النادري على اية شخصية سابقة او لاحقة [١٣]،ومما

جاء في بعض حماقاته أنّه ((تبخر يوماً فاحرقت ثيابه فغضب وقال والله لا تبخرت الا عرياناً .وهبت يوماً ريح شديدة فاقبل الناس يدعون ويتوبون ،فصاح جحا ياقوم ،لاتعجلوا بالتوبة انما هي زوبعة وتسكن٠٠٠واجتاز يوماً بباب الجامع فقال :ما هذا ؟ فقيل المسجد الجامع ،فقال رحم الله جامعا ما احسن ما بنى مسجده .)) [١٤] .

تتشكل اخبار جحا تشكلاً فكاهياً مبعثه الدعابة لتفعيل آلية الضحك عند السامع وهذه النوادر تأتي بغية التسلية الساذجة لقتل الفراغ تارةً أو لقصد التعليم من خلال تسلية الصغار تارةً اخرى،[١٥]ومما جاء في ذلك أنّه قال له رجل ((أتحسن الحساب باصبعك ؟قال : نعم ،قال : خذ جريبين حنطة ،فعقد الخنصر والبنصر ،فقال له :خذ جريبين شعيراً،فعقد السبابة والإبهام وأقام الوسطى فقال الرجل :لِمَ أقمت الوسطى ،قال :لئلا يختلط الحنطة بالشعير .))[١٦] .

ولعله يلحظ كيف ان المؤلف يسعى إلى التأكيد على الجانب المضحك في شخصياته ليجد القارئ نفسه إمام تصرفات حمقاء تدعوه إلى الضحك والمشاركة في صنع الخبر وإنتاج النص من خلال تلقي ما يُروى عن هؤلاء الحمقى وما أُبتلوا به من تغفيل .

واذا كانت هذه الشخصيات وامثالها شخصيات حمقاء تندرية فإنّ هناك شخصيات ذات مستوى من العقل والرزانة صدرت عنها بعض الحماقات التي رصدها ابن الجوزي وقيدها في كتابه أمثال ما نقرأه في خبر الوزير (ذو السعادات) إذ يحدثنا ابن الجوزي عن شيء من حماقاته قائلاً:

((عرض على الوزير ذي السعادات ابي الفرج محمد بن جعفر بعض التجار المسافرين ثلاث شقاق حرير ،فبقيت عنده مدة فجاء صاحبها وطلبها ،ففتح الوزيرالدواة وكتب على هذه بخط غليظ ،هذه لاتصلح ،وكتب على أخرى غير مرضية ،وعلى أخرى وهذه غالية،وقال ادفعوها اليه،فأخذها الرجل وقد تلفت عليه .)) [١٧] ويتابع ابن الجوزي نقله حماقة اخرى قائلاً:((وكان اذا أخطأ الفرس تحته يأمر بقطع علفه تأديباً له ،فاذا قيل له في ذلك ،قال أطعموه ولا تعلموه انني علمت بذلك .))[١٨] .

فما ورد عن ذي السعادات تصرف لايصدر عن شخصية عاقلة لها مركزها الاجتماعي بل هي افعال حمقى ،لكنها صدرت عنه لسبب عارض دعاه إليه الموقف الحاضر مما دفع ابن الجوزي إلى وضع هذه الإخبار تحت عنوان (في ذكر المغفلين من الأمراء والولاة)[١٩].

واستطاع ابن الجوزي أن يوظِّف هذا المكون السردي /البطل الأحمق /المغفل توظيفاً فنيَّاً ويأتي بالأخبار الفكاهية ليحقق الكثير من الغايات والأهداف ذات الأبعاد السياسية، ولا سيما في الباب الثاني عشر، في ذكر المغفلين من الأمراء والولاة، ليبين المستوى الذي بلغه حال بعض الأمراء والولاة، في زمنه وفي غير زمنه، إذ بلغ فيهم الحمق والتغفيل مبلغه.

ويرد امثال ذلك في خبر (سهل بن بشر الكاتب) وما فعله مع (البوّاب)، يقول الخبر على لسان الراوي عبد الله بن محمد الصوري قال :((رأيت سهل بن بشر الكاتب يوما وقد نعق غراب أبقع على حائط صحن الدار فضاق صدره وقال : هاتم البوّاب ، فجيء به ، فقال :لم تركت هذا الغراب يصيح هاهنا ؟ فقال البوّاب أيها الاستاذ وأي ذنب لي ،انا احفظ بابي ،وليس هذا ممن يدخل من الباب فيلزمني جنايته،فكيف استطيع منعه من الصياح ؟فقال :قفاه ، فما زال يُصفع صفعاً عظيماً الى أن شفعت فيه)).(٢٠)

تتمحور احداث الخبر حول شخصية (سهل بن بشر)لتكون هي الموجه العام والمبعث الاول للحوار اعتماداً على صيغة الفعل (قال) ليوقفنا على حماقة صدرت عن شخصية احد الكتّاب وهو (سهل) بخلاف ما صدر عن (البوّاب) من رزانة وعقل فهذا يعاقب لذنب لم يرتكبه بل ارتكبه (غراب) ليشفع في خلاصه راوٍ مشاهد للاحداث ومراقب لما جرى وكأننا به يضع علامات الاستغراب ازاء تصرفٍ احمقٍ ما كان ينبغي أن يصدر عن شخصيةٍ كشخصية (بشر) .

وابن الجوزي حين يعرض اخباره الهزلية فهو يصنفها ضمن ابواب خاصة فهذا باب من ضُرب المثل بحمقه ،وهذا باب جماعة من العقلاء صدر عنهم فعل الحمقى ،وذاك باب المغفلين من القرّاء ،أو الوزراء ،أو الائمة وهكذا ٠٠٠مما يدل على أن شخصيات كتاب الحمقى والمغفلين لم يكونوا جميعهم حمقى ومغفلين في الأصل والنعت بل أن كثيراً منهم كانوا عقلاء ذوي لُبٍ ناصح لكن صدرت عنهم هذه الحماقة او تلك ،فمما أثبته في باب المتحذلقين فيمن قصد الفصاحة والإعراب في كلامه الخبر المروي عن ابن علقمة النحوي مع ابن أخيه،يقول الخبر :((قدم على ابن علقمة النحوي ابن أخٍ له فقال له : ما فعل أبوك ؟ قال :مات،قال:وما فعلت علته ؟قال :ورمت (قدميه).قال: فارتفع الورم إلى (ركبتاه).قال:قل ركبتيه .فقال: دعني ياعم فما موت أبي بأشد عليّ من نحوك هذا .))(٢١)

ومما تقدم نخلص إلى ان هذه الإخبار تقوم على بنية سردية أساسها الهزل الصادر عن شخصيات عُرفت . في الأعم الأغلب . بأسمائها وانتسابها إلى قبائلها فهي شخصيات مرجعية لها وجودها الحقيقي المرتبط بتاريخ معين وزمن معين ،ولعل ذلك يتضح من خلال ما سعى إليه ابن الجوزي من التعريف بأسمائها قبل الولوج في إيراد حماقاته ا اذ يقول في تعريفه بشخصية عجل بن لُجيم المتقدم الذكر.((ومنهم عجل بن لُجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ٠٠٠))(٢٢)أو قوله مثلاً في الأحمق (هبنقة) واسمه ((واسمه يزيد بن ثروان ويقال ابن مروان احد بني قيس بن ثعلبة .ومن حمقه أنه جعل في عنقه قلادة من ودع وعظام وخزف وقال:اخشي ان اضلّ نفسي ففعلت ذلك

لأعرفها به ،فحوّلت القلادة ذات ليلة من عنقه لعنق أخيه فلما أصبح قال :يا أخي أنت إنا فمن إنا ؟.))[٢٣].

تقوم الدعابة التي يرصدها ابن الجوزي ويؤكد عليها في إخباره بأداء دورها في انعاش الخبر واضحاك القارئ اثر مفارقات ادبية احتوتها هذه النصوص فهذا أحمق لا يعرف نفسه الا من قلادة يلبسها في حلّه وترحاله فبدل ان يكون الدليل عليها كانت هي الدليل على وجوده والتعريف بشخصه حتى إذا ما حُوّلت ليلاً عنه إلى غيره كانت دليل ضياعه ،وهذا بطبيعة الحال تصرف أحمق أطرته النادرة التي تمركزت في عبارة الشخصية(يا أخي أنت إنا فمن إنا) ليعكس ضآلة قيمته وليحذر العاقل في الوقت نفسه وهو يسمع او يقرأ أمثال هذه الحماقات مدى أهمية العقل وكياسة النفس ليبعد ما أمكنه عن كل تصرف أحمق او مغفل من شأنه ان يبدد قيمة العقل الذي حباه الباري سبحانه للبشر .

المطلب الثالث : أسلوب التحاور بين الشخصيات :

الحوار هو تعاقب الأشخاص على الإرسال والتلقي [٢٤]فالطرف الأول يرسل في حين يقوم الآخر بمهمة التلقي ،والواضح في إخبار الحمقى و المغفلين أنّ كثيراً منها يتأسس على الحوار والحوار الخارجي بالذات ،ليتجه الخبر نحو توظيف ألفاظ خاصة لذلك لاسيما لفظة الفعل (قال) ومشتقاته سعياً لإنتاج النص وتشكيل هيكله البنائي ،ويشكل الحوار بوصفه أداة من أدوات التعبير مظهراً فنياً تتجلى فيه قدرة الكاتب على الإفصاح عن فكرته وكيفية جعلها واضحة ومفهومة لدى المتلقي وخاصة في موضوع الهزل والفكاهة الذي يتطلب دقةً وإيجازاً في التعبير .[٢٥]

فاذا ما وقفنا مثلاً إزاء خبر ينقله ابن الجوزي عن بعض الرواة قائلاً :((قال بعضهم :مررتُ على قوم اجتمعوا على رجل يضربونه ،فقلتُ لشيخٍ منهم :ما ذنب هذا ؟

قال يسبُّ أصحاب الكهف .

قلتُ :ومن أصحاب الكهف ؟

قال : لستُ مؤمناً .

قلتُ : بلى ولكني أحب الفائدة .

قال : أبو بكر وعمر ومعاوية بن أبي سفيان ...

فقلت له :يعجبني معرفتك بالأنساب والمذاهب .

فقال :نعم،خذ العلم عن أهله .

فقال واحد منهم لآخر :أبو بكر أفضل أم عمر ؟

قال :لا بل عمر ،قال :وكيف علمت ؟

قال :لأنه لما مات ابو بكر جاء عمر إلى جنازته ،ولما مات عمر لم يجئ أبو بكر لجنازته .))[٢٦]

ان من الملاحظ في الخبر السابق هو تكرار الفعل قال ومشتقاته (احد عشرة)مرة وهو عدد كافٍ ليجعل من الحوار العنصر الفاعل في النص،الذي أسهم في الكشف الصريح عن حقيقة الحدث(ضرب الرجل الأحمق)من جهة ،وفي بيان مدى جهل الشخصيات المحركة للسرد من جهة أخرى،وهذا الجهل البين الذي لفته السخرية هو سبب الضحك ومدار الهزل هنا .

وفي موضع آخر يتجلى دور الحوار القائم بين شخصيات الخبر في تفعيل الفكاهة السارية في طيات الخبر المنقول عن بعض المغفلين اذ يحدثنا ابن الجوزي قائلاً:((حكى لي بعض الاخوان ان بعض المغفلين كان يقود حماراً،فقال بعض الأذكياء لرفيق له : يمكنني ان آخذ هذا الحمار ولا يعلم هذا المغفل.قال :كيف تعمل ومقوده بيده ؟ فتقدم فحلّ المقود وتركه في رأس نفسه وقال لرفيقه :خذ الحمار واذهب ،فأخذه .ومشى ذلك الرجل خلف ا لمغفل والمقود في رأسه ساعة ،ثم وقف فجذبه فما مشى ،فالتفت فرآه ،فقال : أين الحمار ؟ فقال : إنا هو . قال : وكيف هذا ؟ قال :كنت عاقاً لوالدتي فمسخت حماراً،ولي هذه المدة في خدمتك ،والآن قد رَضيتْ عني أمي فعدت آدميا ...))[٢٧] .

. هنا وعند هذه النقطة السرد ية يتجلى حمق الرجل وجهالته حين صدّق قول السارق ظاناً ان حماره حقاً آدمي قد مُسخ . يتابع الراوي قائلاً :((فقال : لا حول ولا قوة الا بالله ،وكيف كنت استخدمك وأنت آدمي ! قال : قد كان ذلك ، قال : فاذهب عني في دعة الله .))[٢٨] ،ولم يكن صاحب الحمار هو الأحمق فحسب بل كانت زوجته هي الأخرى حمقاء ايضاً ويتضح ذلك ونحن نتابع بقية ما جرى ، يقول الخبر :((فذهب ومضى المغفل إلى بيته فقال لزوجته : أعندك الخبر ؟ كان الأمر كذا وكذا ، وكنا نستخدم آدمياً ولا ندري فبماذا نكفّر ، وبماذا نتوب ؟ فقالت : تصدق بما يمكن ، قال فبقي اياماً، ثم قالت له :انما شغلك المكاراة فاذهب واشترِ حماراً لتعمل عليه ، فخرج إلى السوق فوجد حماره يُنادى عليه ،فتقدم وجعل فمه في اذنه وقال:يا مدبر عدت إلى عقوق أمك))[٢٩].

تأخذ شخصية المغفل بعدها الفكاهي في بث الحيوية في الخبر لتكون شخصية (سارق الحمار) الإخبارية هي الموجه الأساس في دفع النص نحو الدعابة وإضفاء النادرة عليه،المتمثلة في تصديق المغفل بما هو غير مألوف من حقيقة مسخ حماره ،وزاد في النادرة تصديق الزوجة بدعوى زوجها داعيةً إياه إلى التصدق تكفيراً عن ذنبهما ،مما يدعو السامع للضحك وهو يتلذذ بقراءة ما يُروى .

ويؤطر الحوار خبراً آخر يروى عن احد الرواة المسمى (ميمون بن هرون) اذ يتحفنا بقوله : ((قال رجل لصديق له : ما فعل فلان بحماره ؟

قال : (بَاعهِ) ، قال : قل : (بَاعهُ) .

قال : فلم قلت بحمارهِ ؟ قال : الباء تجر .

قال : فمن جعل باءك تجر وبائي ترفع ؟ .)) .(٣٠)

يعلن الحوار عن دوره في تشييد بناء الخبر المتلون بالهزل الناجم عن حقيقة فهم الرجل لقواعد اللغة حين ظن ان مسألة جر الباء او رفعها هي مسألة شخصية ،وهذا الفهم ما هو الا نتيجة للجهل والغفلة مما جعله دافعاً نحو إضفاء الجانب الهزلي على الشخصية المساهمة في صنع الحدث . ويعكس في الوقت نفسه التبرم الاجتماعي من تعسف اهل النحو والتشدد على ملاحقة المتكلم فيما يقول ، وهذا جعل الناس ينفرون من هذا التشدد ، فبرز التندر بالنحوي لكسر شوكة شخصيته المتسلطة والمتشددة .

وينطلق الحوار نحو بناء الخبر فكاهيا في حادثة ابن أحمق طلب إليه أبوه الاختصار في كلامه بدل الاطالة ففعل ما فعل ،يقول الخبر : ((كان لبعض الأدباء ابن أحمق ،وكان كثير الكلام ، فقال له ابوه ذات يوم ،يا بني لو اختصرت كلامك اذ كنت لست تأتي بالصواب ! قال : نعم . فأتاه يوما فقال : من أين أقبلت يا بني ؟

قال : من (سوق) قال : لاتختصرها هنا ، زد الالف واللام .

قال : من(سوقال) قال : قدم الالف واللام .

قال : من(الف لام سوق).

قال : وما عليك لو قلت : (السوق)فو الله ما اردت في اختصارك الا تطويلا))(٣١)

وتستمر حماقات هذا الابن مع اختصاراته ، اذ قال في يوم من الأيام لابيه :((اقطع لي جباعة .

قال : وما جباعة في الثياب ؟

قال : ألست قلت لي اختصر كلامك ، يعني جبة ودراعة .))(٣٢)

يوظف الراوي تقنية الحوار ليكون من أهم عناصر البناء السردي والهزلي للخبر وذلك يتضح في اجابات الابن الاحمق على كل عبارة يوجهها اليه ابيه لتعلن الدعابة المضحكة عن قيامها في اضفاء التسلية والمتعة النفسية على قارئ الخبر وهو يستمتع بالحوار المتولد على السنة الشخصيات وهو حوار قد لفّته المفارقة في الحدث فالابن يطلب الاختصار في حين ينطق بالإطالة .

المطلب الرابع : البناء الفني للخبر الهزلي :

تشكل بعض الأخبار الهزلية في نصوصا أدبية وفنية متكاملة ، له بداية ونهاية ،وهو في بدايته يعتمد أسلوب السند ذي الألفاظ المتوارثة أمثال (بلغني ،اخبرني ، حدثني ،حكى لي ،٠٠٠الخ)

أو أسلوب العنعنة (عن فلان وفلان).اما شخصياته فقد لا تتضح كل معالمها نظرا لقصر الخبر الا انها تمثل مرتكز الخبر ومصدر قوته اذ تدور الإخبار الهزلية على فعل هزلي أو تصرف أحمق صدر عن شخصية ما ،واما الحدث فهو يرتبط تمام الارتباط بالشخصية وهو حدث لا يخلو من فكاهة تدعو الى ا لضحك ، والى جانب هذا وذاك فقد انماز الخبر الهزلي بقصر عبارته ، ودقة معناه وما ذلك إلا لانه وليد لحظته اذ يوجه نحو فعل قولي او حركي يصدر عن جهة ما مما يستدعي هذا البناء (٣٣).

ومما يحفل به الخبر الهزلي اعتماده ما يلي :

١. السخرية من الآخر وكشف صفاته .

٢ . ذكو الأمور غير المألوفة أو المعتادة .(٣٤)

٣ . احتوائه على شيء من المفاجأة .(٣٥)

٤ . اعتماده آلية المبالغة في سرد الإحداث .

٥ . اعتماده أسلوب المفارقة .

دور المفارقة في تشكل الخبر الهزلي :

تؤطر المفارقة الأخبار الهزلية لتكون احدى السمات الفنية الغالبة عليه ، والمفارقة في حقيقتها ((تناقض ظاهري ، لا يلبث ان نتبين حقيقته))(٣٦)، وتعد المفارقة وسيلة أدبية وتعبيرا فنيا لإنتاج الضحك و امتاع القارئ .(٣٧)من هنا يبرز الدور الهام الذي تؤديه المفارقة في تكوّن الخبر الهزلي ، ومن الأخبار التي تجلت فيها صورة المفارقة خبر يو رده ابن الجوزي عن رجل من البصرة كتب إلى أبيه قائلاً : ((كتبتُ إليك يا أبت نحن كما يسترك الله عونه وقوته ، لم يحدث علينا بعدك إلا كلّ خير ، إلا ان حائطاً لنا وقع على أمي وأخي الصغير وأختي والجارية والحمار والديك والشاة ولم يفلت غيري .))(٣٨).

فالمفارقة تتجلى فيما كتبه الرجل إلى أبيه لبيان حاله وحال أهله اذ لم يصبهم على حدّ قوله ((إلا كلّ خير)) بينما يتابع قائلاً : ((إلا ان حائطا لنا وقع على امي واخي ٠٠)) ليقضي الجميع نحبه عدا الابن ، فالتناقض الحاصل بين الخير الذي يذكر وبين الواقع المرير هو سبب المفا رقة التي دعت إلى الضحك .

ومن صور المفارقة الحادة ما جاء في قصة متزهد لا يعرف من هم الأنبياء ، يقول الخبر : ((قال بعض معارفنا انه حضر في بعض البلاد عند متزهد ، وحضر جماعة يتبركون به ، منهم قاضي البلد ، فجرى ذكر لوط (عليه السلام)فقال المتزهد: عليه لعنة الله ، فقيل له ويحك هذا نبي ،

فقال ما علمت .ثم التفت إلى القاضي فقال خذ عليّ التوبة مما قلت ، فتاب ، ثم أفاضوا في الحديث فجرى ذكر فرعون فقالوا له ما تقول فيه ؟ فقال انا الآن تبت فلا ادخل بين الأنبياء .))(٣٩)

أضفت المفارقة طابع الفكاهة والتندر على الخ بر، ويلاحظ ذلك في عدم معرفة المتزهد بالأنبياء فهو يلعن لوط (عليه السلام) ويظنه عدوا لله ثم تظهر حدة المفارقة حين يجري ذكر فرعون فيمتنع عن لعنه ويضعه في مصاف الأنبياء جهلا منه بحقيقته ، فالبون الشاسع بين تزهد الرجل وتبرك الآخرين . منهم القاضي . به من جهة ، وجهله الشنيع بالأنبياء من جهة أخرى هو ما أسهم في إضحاك القارئ وبالتالي إسباغ الفنية التي تجلت بمظهر المفارقة على الخبر .

وتعلن المفارقة عن دورها في تشكيل إحدى الإخبار المروية على لسان ابي الحسن الصابي الذي أتحفنا بالآتي ، يقول : ((دخل بعض أصدقائنا إلى رجل قد ابتاع دارا في جواره ، فسلم عليه واظهر الإنس بقربه وقال : هذه الدار كانت لصديقنا وأخينا الا انك بحمد الله أوفى منةً وكرماً وأوسع نفسا وصدرا ، والحمد لله الذي بدلنا به من هو خير منه وانشده : ((بُدِّل بالبازي غراب أبقع)) فضحك منه الرجل حتى استلقى وخجل ٠٠)) .(٤٠)

تدفع المفارقة التي وظفها الراوي بالنص نحو الجانب الهزلي التندري ، فالشخصية الإخبارية التي استدعيت أكدت على المفارقة من خلال المفاجأة الحاصلة في الحدث فهو تقصّى المديح بغية الترحيب بالجار الجديد إلا ان عبارته قد جانبت المراد من دون بلوغ المقصد ، ليتحول المديح إلى المذمة وهذا تصرف أحمق لوّن الخبر بلون الدعابة .

وتأتي المفارقة أيضا في الخطأ بنسبة الكلام كأن يقول القائل: قال تعالى، ثم يأتي بحديث نبوي، أو يقول: قال الشاعر ويأتي بآية قرآنية، أو أن يقول : قال تعالى، ويأتي ببيت شعر، كما في قوله : "وبلغنا أن يزيد بن المهلب ولى أعرابياً على بعض كور خراسان، فلما كان يوم الجمعة صعد المنبر وقال :الحمدُ لله، ثم ارتج عليه فقال: أيها الناس إياكم والدنيا فإنكم لم تجدوها إلا كما قال تعالى:

وما الدنيا بباقية لحي * . * . * وما حي على الدنيا بِبَاقِ

فقال كاتبه: أصلح الله الأمير هذا شعر، قال : فالدنيا باقية على أحد؟ قال : لا، قال: فيبقى عليها أحد؟ قال: لا، قال: فما كلفتك إذن؟"(٤١).

وتاتي المفارقة من اعتماد التورية وهي إطلاق لفظ له معنيان : قريب لا يراد، وبعيد يراد وهو المقصود. كقوله: "وتذاكر قوم قيام الليل وعندهم أ عرابي، فقالوا له أتقوم الليل؟ قال : إي والله، فقالوا: فما تصنع؟ قال: أبول وأرجع أنام"(٤٢).فالتورية بين أقوم الليل بمعنى أداء الصلاة وما فيها من خشوع

وذكر الله ، وبين ما انصرف إليه ذهن الأعرابي حين سئل عن قيام الليل ، وما فيه من تندر غالبا ما يصدر عن هؤلاء الأعراب .

المطلب الخامس :الزخرفة اللفظية في الخبر الهزلي :

يؤثر اختيار صيغ الألفاظ في الكلام ايما تأثير ، ولما كان بغية الخبر الهزلي إضفاء المتعة وإسباغها على نفسية القارئ من خلال توليد الضحك وتحقيق التسلية ، كان على المؤلف ان ينتقي ألفاظه ويعتني بأسلوب صياغتها ، ساعيا نحو توظيف بعضا من أساليب العربية ، ومما تردد واضحا في كثير من نصوص ابن الجوزي هو اسلوبي (السجع والازدواج) .

والسجع هو :توافق فاصلتين من النثر على حرف واحد .(٤٣)

اما الازدواج : فهو ان تكون فاصلتين في النثر على قافية واحدة .(٤٤)

ومن ذلك ما ورد في خبر احد النحاة الذي جاء إلى نخّاس ليشتري حماراً فقال له : ((يا نخاس اطلب لي حمارا لا بالصغير المحتقر ولا بالكبير المشتهر ،إن اقللت علفه صبر وإن أكثرت علفه شكر ،لا يدخل تحت البواري ولا يزاحم بي السواري ، اذا خلا في الطريق تدفق واذا أكثر الزحام ترفق ،فقال له النخّاس بعد ان نظر إليه ساعة ، دعني ،اذا مسخ الله القاضي حمارا اشتريته لك.))(٤٥).

تتضح الزخرفة اللفظية في عبارات الراوي التي تتوعت بين استعمال للسجع تارة وللازدواج تارة اخرى اذ نقرأ:

(لا بالصغير المحتقر ولا بالكبير المشتهر ،
ان اقللت علفه صبر وان اكثرت علفه شكر ،
لايدخل تحت البواري ولا يزاحم بي السواري،
اذا خلا في الطريق تدفق واذا أكثر الزحام ترفق)وهذا التوظيف البلاغي من شأنه ان يحقق لونا من ألوان التوافق الإيقاعي للخبر .

ونظرة الى ما جاء في خبر (سيف أبي حية النميري) نلحظ الوقع اللطيف لتوظيف أسلوبي السجع والازدواج فيه ،يقول الراوي : ((حدث جار لأبي حية النميري قال :كان لأبي حية سيف ليس بينه وبين الخشبة فرق ،وكان يسميه (لعاب المنية) .قال : فأشرفت عليه ليلة وقد انتضاه وهو واقف على باب بيت في داره وقد سمع حسا وهو يقول : أيها المغتر بنا والمجترئ ع لينا ،بئس والله ما اخترت لنفسك ، خير قليل وسيف صقيل ، لعاب المنية الذي سمعت به ، مشهورة ضربته لا تخاف

نبوته ، اخرج بالعفو عنك لا ادخل بالعقوبة عليك ؛اني والله ان ادع قيساً تملأ الفضاء خيلاً ورجلاً ..))(٤٦)

فالعبارات (المغتر بنا والمجترئ علينا ،
خير قليل وسيف صقيل ،
مشهورة ضربته لا تخاف نبوته،
اخرج بالعفو عنك لا ادخل بالعقوبة عليك)

جميعها قد حفلت بالتنغيم الصوتي اثر هذا الاستعمال الزخرفي للألفاظ .

ويطالعنا الازدواج في خبر آخر يرويه ابن الجوزي عن احد المغفلين الم سمى (ابن عمر يمازح جارة له فيقول : خلقني خالق الكرام وخلقك خالق اللئام ، فتغضب وتصيح وتبكي ويضحك ابن عمر.))(٤٧)

فأسلوب الازدواج الوارد في قول الراوي (خلقني خالق الكرام وخلقك خالق اللئام) قد أضفى على الخبر رشاقة في الأسلوب وحلاوة في عرضه .

ومثل ذلك نلحظ توظيف السجع فيما يُروى عن شخص يُدعى (الأعمش) اذ نشزت امرأته عليه فدعا رجلاً اسمه(أبو البلاد) وكان هذا فصيحاً يتكلم بالعربية ،فدخل على زوجة الأعمش وقال لها : ((ان الله قد أحسن قسمك ، هذا شيخنا وسيدنا ، وعنه نأخذ حلالنا وحرامنا ،لا يغرك عموشة عينيه ولا خموشة ساقيه ،فغضب الأعمش عليه وقال : اعمي الله قلبك قد أخبرتها بعيوبي كلها اخرج من بيتي فأخرجه))(٤٨).

فالسجع في الكلمات (سيدنا ،وشيخنا، وحلالنا، وحرامنا) ثم تتغير الفاصلة في قول الراوي (عموشة عينيه وخموشة ساقيه). وهكذا كان السجع والازدواج من المحسنات اللفظية التي رافقت بناء الخبر الهزلي سعياً لتحقيق لوناً من الوان الموسيقى الإيقاعية والتنغيم الصوتي لإكمال إنتاج الخبر الفكاهي على أتم وجه وأكمله .

الخاتمة:

١. يشكل الخبر واحدا من المظان المعرفية المهمة ذات الصلة الوثيقة بحياة الأفراد من الناس ، فقد كان مادة سمرية يتسلون بها لقضاء أوقاتهم وتفريغ همومهم فضلا عن كونه وسيلة لرسم الابتسامة على الوجوه و أراحة القلوب ، فالخبر الهزلي هو الممتع من الكلام المنتج للضحك .

٢. تمثل الشخصية المحور الأساس الذي تدور حوله مادة الخبر الهزلي ليعرض لنا ابن الجوزي نوادر لأشخاص مغفلين اتصفوا بالحمق والغفلة ، وأحيانا التعرض لطرائف صدرت عمن هم أصحاب مكانة سياسية واجتماعية مرموقة كالوزراء أو القضاة أو الكتّاب .

٣. يؤدي الخبر الهزلي وظائف متعددة منها قتل الفراغ أو لقصد التعليم احيانا ليكون الخبر تشكلا سرديا يقوم على تفعيل آلية الضحك من خلال الدعابة والسخرية وربما الانتقاص من الآخرين.

٤. انماز الخبر الهزلي بعدد من المزايا كقصر عبارته ، ودقة معناه ، واعتماد أسلوب السند ذي الألفاظ المتوارثة ، الى جانب ذلك المفارقة والحوار ، اذ ساهما في انتاج النص الهزلي وامتاع القارئ وتشيد الخبر ،ودفع أحداثه نحو الأمام ، وهذا من السمات الفنية الغالبة عليه .

الهوامش :

(١) ينظر : لسان العرب :٤/ ٢٢٦،مادة (خبر) .
(٢) ينظر : م . ن :١٥/ ٨٩ ، مادة (هزل) .
(٣) ينظر : اخبار الحمقى والمغفلين : ١٧ .١٨ .
(٤) العقد الفريد :٦/ ٢٨٥
(٥) ينظر : الحكاية في التراث العربي :٢٣٨ .
(٦) م . ن : ٢٣٤ .
(٧) مفاهيم سردية : ٧٣ .
(٨) الحكاية في التراث العربي : ٢٤٩ .
(٩) اخبار الحمقى والمغفلين : ٤٢ .
(١٠) م . ن : ٤٦ .
(١٢) ينظر : اخبار الحمقى والمغفلين : ٤٣ .
(١٣) ينظر : الحكاية في التراث العربي : ٢٤٣ .
(١٤) اخبار الحمقى والمغفلين : ٤٥ .
(١٥) ينظر : الحكاية في التراث العربي : ٢٤٤ .
(١٦) اخبار الحمقى والمغفلين : ٤٥ .٤٦ .
(١٧) م . ن : ٨٨ .
(١٨) م . ن والصفحة .
(١٩) م . ن : ٨٢ .
(٢٠) م . ن : ٩٥ .
(٢١) م . ن : ١١٠.١١١ .
(٢٢) م . ن :٤١ .
(٢٣) م . ن : ٤٢ .

(٢٤) ينظر : معجم المصطلحات الادبية المعاصرة : ٧٨ .

(٢٥) ينظر : الفكاهة في النثر العباسي : ٢٥١ .

(٢٦) اخبار الحمقى والمغفلين : ١٧٤ .

(٢٧) م . ن : ١٨٦ .

(٢٨) م . ن والصفحة .

(٢٩) م . ن والصفحة .

(٣٠) م . ن : ١١٠ .

(٣١) م . ن : ١٦٢ .

(٣٢) م . ن والصفحة (٣٣) ينظر : الفكاهة في النثر العباسي :٢٤١ .

(٣٤) ينظر : الحكاية في التراث العربي : ٢٢٧ .

(٣٥) ينظر : الادب العربي الهازل ونوادر الثقلاء : ١٨ .

(٣٦) معجم المصطلحات الادبية المعاصرة : ١٦٢ .

(٣٧) ينظر : شعرية السرد في شعر احمد مطر :١٢٨ .

(٣٨) اخبار الحمقى والمغفلين :٩٨ .

(٣٩) م . ن : ١٢٨ .

(٤٠) م . ن : ٦٥ .

(٤١) م .ن : ٨٨.

(٤٢)م. ن.: ١١١.

(٤٣) ينظر :خزانة الادب وغاية الارب لابن حجة الحموي ،شرح : عصام شعيتو : ٢ /٤١١، وايضاً الصناعتين (الكتابة والشعر) لابي هلال العسكري ، تحقيق : محمد البجاوي وابو الفضل ابراهيم : ٢٣٣ .٢٣٧ .

(٤٤) ينظر : الايضاح للقزويني ، شرح وتعليق : محمد عبد المنعم خفاجي ،
منشورات دار الكتاب اللبناني ، ١٩٨٣ ،٢/٥٤٧ . ٥٥٦ ،وايضاً : الصناعتين (الكتابة والشعر): ٢٣٣ . ٢٣٧ .

(٤٥) اخبار الحمقى والمغفلين : ١١٤ . ١١٥ .

(٤٦) م . ن : ١٨٢

(٤٧) م . ن : ١٣٤ .

(٤٨) م . ن والصفحة .

المصادر :

. اخبار الحمقى والمغفلين ،لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي ت (٥٩٧) هـ ، دار المدى ،سوريا ، ٢٠٠٧ .

. الأدب العربي الهازل ونوادر الثقلاء ، يوسف سدان ، منشورات الجمل كولونيا (المانيا)_ بغداد ،٢٠٠٧.

. الإيضاح للقزويني ،شرح وتعليق : محمد عبد المنعم خفاجي ، منشورات دار الكتاب اللبناني ، الطبعة الخامسة ، ١٩٨٣ .

. الحكاية في التراث العربي ، يوسف الشاروني ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٨.

. خزانة الأدب وغاية الإرب ،ابن حجة الحموي ،شرح : عصام شعيتو ، دار البحار ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت .

. شعرية السرد في شعر أحمد مطر ،د. عبد الكريم السعيدي ،دار السياب ، لندن ،٢٠٠٨.

. الصناعتين (الكتابة والشعر)، ابي هلال العسكري ، تحقيق : محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم ،المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ٢٠٠٦ .

. العقد الفريد ، لشهاب الدين أحمد المعروف بإبن عبد ربه الأندلسي ، تقديم : خليل شرف الدين ، المجلد السادس ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، ١٩٩٩.

. الفكاهة في النثر العباسي ، علي عزيز صالح ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠١٠.

. لسان العرب لابن منظور ، دار إحياء التراث العربي ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، لبنان ط ٣.

. مفاهيم سردية : تودوروف ، تر : عبد الرحمن مزيان ، منشورات الاختلاف ، ٢٠٠٥م .

. معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، سعيد علوش ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٨٥م .